Journal al-Muqaddimah. vol. 6(1). Jan-Jun 2018. 42-61

The Revolution of Abu Rakwah Against The Fatimids In Cyrenaica And His Attempt to Overthrow Their Rule in Egypt (395-397 H / 1004-1006 AD)

ثورة أبي ركوة على الفاطميّين في إقليم بَرْقَة ومحاولته الاستيلاء على مُلْكهم في مِصْرَ (٣٩٥-٣٩٧هـ/١٠٠٤-١٠٠٦م)

Ramdan. M. Ramdan Alahmar [1]
Ahmad Faisal Bin Abdul Hamid [2]

Abstract

The Cyrenaica region adjacent to Egypt, which currently occupies the eastern state of Libya contemporary - at great importance in Central Islamic eras. Wherefore the Fatimids interested to control of it since the establishment of their state in the Islamic Maghreb, the year 297 AH / 909 AD. When their departure to Morocco in 361 AH / 971 AD, for stability in Egypt, they maintained on survival of the Cyrenaica region under their direct management, Because of their geographical and strategic importance of their state in Egypt. It did not pass long time until the revolution against the Fatimids in Cyrenaica lasted for two years (395-397 AH / 1004-1006 AD), Led by a man nicknamed Abu Rakwah, Attributed himself to the Umayyads Andalusia. Was able to defeat the Fatimid armies, and drop their judgment at Cyrenaica and an admin and invade Egypt to seize their king there. However, the Fatimids succeeded in his defeat and the elimination of his revolution after great efforts and huge preparations and many expenses exhausted the state treasury in Egypt. It was for this revolution after its expiry of political, social, and economic results in terms of Cyrenaica region affected on his future thereafter.

Key words: *The Fatimids, Abu Rakwah, Banee Korra, Cyrenaica, Egypt.*

الملخص

تَمتّع إقليم برقة –المجاور لدولة مصر والذي يُمثّل حاليّاً شرق دولة ليبيا المعاصرة- بأهمية كبرى في العصور الإسلامية الوسطى، لأنه بمثابة بوابة العبور لكل من مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، لذلك اهتمّ الفاطميّون بالسيطرة عليه منذ قيام دولتهم في بلاد المغرب الإسلامي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م. وعند رحيلهم عن المغرب سنة ٣٦١هـ/٩٧١م،

[1] PhD candidate in Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universty of Malaya, Kuala Lumpur. Email: r.alahmer@gmail.com
[2] Senior Lecturer and his supervisor in in Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universty of Malaya, Kuala Lumpur. Email: faisal@um.edu.my

للاستقرار في مصر حافظوا على بقاء هذا الإقليم تحت إدارتهم المباشرة، وذلك لأهميته الجغرافية والاستراتيجية بالنسبة لدولتهم في مصر. ولم تلبث في زمن حكمهم للإقليم أن قامت فيه ثورة كبرى ضدّهم استمرّت سنتين من الزمان (٣٩٥-٣٩٧هـ/١٠٠٤-١٠٠٦م)، قادها رَجُلٌ يُلَقّب بأبي ركوة، يَنسِبُ نفسه إلى بني أُميّة في الأندلس، استطاع خلالها هزيمة الجيوش الفاطمية، وإسقاط حكمهم عن برقة، بل والمسير واجتياح مصر للاستيلاء على مُلْكهم فيها. ولكن الفاطميين لم يلبثوا وأن استطاعوا هزيمته والقضاء على ثورته بعد جهود حثيثة، وتحشيدات كبيرة، ومصاريف ضخمة أنهكت الخزينة الفاطمية بمصر آنذاك. وقد كانت لهذه الثورة بعد انتهائها نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية على صعيد إقليم برقة أَثّرت في مستقبله بعد ذلك.

الكلمات المفتاحية: الفاطميّون، أبي ركوة، بَني قُرّة، برقة، مِصْرَ.

المقدمة:

يقع إقليم برقة في عصرنا الحالي ضمن الحدود الرسمية لدولة ليبيا الحديثة، التي تتكون من الأقاليم الثلاثة طرابلس الغرب، وبرقة، وفزّان. حيث يشغل إقليم برقة الجانب الشرقي من ليبيا، والذي يحدّ بطبيعة الحال بالجانب الغربي لجمهورية مصر العربية. وفي العصر الإسلامي لما أتمّ عَمرو بن العاص فتح مصر عمل على فتح برقة فتمّ له ذلك وفتحها صلحاً حوالي سنة ٢٢هـ/٦٤٢م. ومنذ تلك الفترة تجلّت الأهمية الاستراتيجية لإقليم برقة بالنسبة للمسلمين، حيث كانت مدخلاً للعروبة والإسلام وللحضارة الإسلامية إلى بلاد المغرب كلّه، فمنه عبرت حملاتهم وغزواتهم ووفودهم وانتشرت بين أقاليم المغرب وبلدانه، وفي الوقت نفسه كان مدخلاً إلى المشرق وإلى قلب العالم الإسلامي، فمدن برقة كانت آخر مرحلة يقطعها ركب الحجّاج والتجّار المغاربة والأندلسيّون والأفارقة في طريقهم نحو المشرق والمقدّسات الإسلامية.

وقد أدرك الفاطميون هذه الحقيقة المهمة بمجرد قيام دولتهم في المغرب سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، فعملوا على ضمّ برقة إلى ممتلكاتهم لتكون المفتاح لدخول مصر، والحجر الأساس لتحقيق مشروعهم السياسي الرامي إلى ضمّ العالم الإسلامي كله تحت رايتهم وفي ظلّ مذهبهم الشيعي. فتمكنوا من السيطرة على برقة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، فكانت الخطوة الأولى لمشروعهم في السيطرة على مصر والتي تحققت سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، بعد عدّة حملات عبرت أراضي برقة. وعندما رحل الفاطميون عن المغرب إلى مصر لاتخاذها داراً لملكهم في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، جعلوا على المغرب ولاتهم من بني زيري الصنهاجيين نيابةً عنهم، ولكن استثنوا من ملكهم ولايتي طرابلس الغرب وبرقة لأهميتهما الجغرافية والاستراتيجية بالنسبة لمصر، ولاسيما برقة التي كانت بمثابة البوابة الرئيسية لدخول المغرب والمشرق على حدٍّ سواء.

وتهدف هذه المقالة لدراسة حدث مهم وخطير حصل في تاريخ برقة زمن الحكم الفاطمي وتحديداً في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، وهذا الحدث تمثّل في ثورة قام بها شخص يُدعى أبي ركوة على السلطة الفاطمية في برقة، استمرت مدة سنتين من الزمان استطاع خلالها إرباك أوضاع المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتغييرها كما سنرى لاحقاً. وسوف تحاول هذه الدراسة التعريف بأبي ركوة وتوضيح كيفية قيامه بالثورة في برقة، ومقدرته على إقناع قبائلها للانضمام إليه، ناهيك عن النتائج التي ترتّبت عليها.

وقد استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي السردي التحليلي القائم على استرداد المعلومات والمادة التاريخية من مصادرها القديمة، ثم تجميعها وتحليلها وسردها في قالبٍ متسلسلٍ ومتماسكٍ، لكي تكون صورة الموضوع واضحة أمام القارئ، ولتصل الدراسة إلى الأهداف المطلوبة منها.

التمهيد:

إبّان حكم الفاطميين على إقليم برقة شهد الإقليم تواجد بعض القبائل العربية المهاجرة إليه، منها قبيلة بني قُرّة التي دخلت في صراعات دائمة وحروب مستمرة مع بربر زناتة سُكّان المنطقة[١]. وبنو قُرّة هؤلاء هم بطن من بطون هلال بن عامر بن صعصعة، من العدنانية[٢]. وكان شيخهم زمن الخليفة الحاكم شخص يُدعى مختار بن القاسم[٣]. وكان أن حصلت فتنة واضطرابات في إقليم طرابلس الغرب، فأرسل الخليفة الحاكم في سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م[٤]، جيشاً من مصر بقيادة يحيى بن علي بن حمدون[٥] كفزعة للجيش الفاطمي المحاصر داخل مدينة طرابلس. وكان الحاكم قد بعث لبني قُرّة في برقة للمسير مع الجيش ومساندته ففعلوا ذلك فكانوا وبالاً على الجيش ومن أسباب إخفاقه في مهمته[٦]، فكان في

---

[١] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي وراجعه وصَحّحه محمد يوسق الدقّاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م، ٤٢/٨.

[٢] كَحّالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٧م، ٩٤٤/٣.

[٣] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م، ٢٤/٦. كذلك المقريزي، تقيّ الدين أحمد بن علي: اتّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا، تحقيق جمال الدين الشَّيَّال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٢، ١٩٩٦م، ٦٠/٢.

[٤] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٥/٤.

[٥] هو يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الأندلسي، كانت له ولأبيه وأخيه جعفر بن علي رئاسة معروفة ونباهة أيام الفاطميين. لحق بأخيه جعفر عند هروبه للأندلس خوفاً من بُلُكّين بن زيري، فأقاما مكرمين عند الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، إلى أن سُعِيَ بهما إليه، فسخط عليهما وأمر بإزعاجهما والنداء عليهم بما كفروا من النعمة في مدينة الزهراء. وقد أظهر يحيى صبراً وشجاعة في محنته هذه فكان يُنادي على نفسه معارضاً للمُنَادي عليه: "لا، بل جزاء من آثر بني مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم". ولم يلبث الخليفة الحكم أن عفا عنه وعن أخيه جعفر بوساطة. وبعد مقتل أخيه جعفر وإزعاج الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت: سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م) له، خرج من الأندلس واجتاز المغرب تسلّلاً خوفاً من بلكين، إلى أن وصل مصر، فاستقبله العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، وكان خليفة الفاطميين آنذاك، وأكرم وفادته. فاعترف يحيى بخطئه مع الفاطميين وسأله الصفح والمغفرة، فرد عليه العزيز راضياً: "كلمتك بالزهراء قد أتت على ذلك كله". = ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: الحُلَّة السِّيَرَاء، حقّقه وعلّق حواشيه حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م، ٣٠٥/١-٣٠٧.

[٦] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٢٤/٦. كذلك المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٠/٢.

ذلك مجال غضبٍ عند الخليفة الحاكم، فتنكّر عنهم، فامتنعوا عليه، فأرسل إلى شيوخهم في برقة بالأمان والقدوم عليه في مصر، فلما وصل وفدهم الإسكندرية سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، أمر الحاكم بقتلهم جميعاً[١]، بالإضافة إلى حبس جماعة من أعيانهم، فكانت قبيلة بني قُرّة مثلها مثل غيرها من القبائل تعيش زمن الحاكم في ضنكٍ وضيقٍ بسبب إسرافه في القتل والتنكيل[٢]، لذلك كانت تتمنى زوال مُلْكِهِ، ومستعدة للخروج عليه في أي لحظة، فكانت بذلك تربة خصبة لنثر بذور الثورة فيها، وبيئة ملائمة لاحتضان ثورة أبي ركوة على الخلافة الفاطمية.

من هو أبو ركوة؟

هو الوليد بن هشام، الذي يَنْسِبُ نفسه إلى بني أمية، وقد كُنِّيَ بـ" أبي ركوة"، لركوة[٣] كان يحملها في أسفاره على عادة الصوفية[٤]. وقد تعدّدت واختلفت روايات المؤرخين في تحديد نَسَبِهِ إلى الأمويين؛ فابن القَلانِسي[٥] (ت: سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وابن الأثير[٦] (ت: سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، وابن تَغري بَردي[٧] (ت: سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، يذكرون بأنه من ولد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م). في حين ذكر الأنطاكي[٨] (ت: سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) بأنه يَنْسِبُ نفسه إلى ذريّة الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عَفّان τ (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م). ، أمّا الْمَقّري التِّلِمْساني[٩] (ت: سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، فيذكر بأنه من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل[١٠]. وابن خلدون[١١] (ت: سنة

---

[١] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٢٤/٦. كذلك المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٠/٢.

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٣] الركوة هي إناء صغير من جلد يُشربُ فيه الماء = ابن منظور، عبد الله بن محمد بن الْمُكرّم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الخزرجي: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، د.ت، مج٣، ١٧٢٢/١٩.

[٤] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨. كذلك ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٣/٤.

[٥] ابن القَلاَنِسي، أبو يعلي حمزة: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق هـ ف. آمدروز، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م، ص٦٤.

[٦] الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٧] ابن تَغْري بَرْدي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، ٢١٦/٤.

[٨] الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي"المعروف بِصِلَة تاريخ أوتيخا"، حقّقه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، طرابلس الشام، جرّوس برسّ، ١٩٩٠م، ص٢٥٩.

[٩] الْمَقّري التلمساني، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حَقّقه إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، مج٦٥٨/٢.

[١٠] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأُموي، الملقّب بصقر قريش، ويُعرف بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين، فهو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس. وهو أحد عظماء العالم، وكان حازماً، لا يكل الأمور إلى غيره، ولا ينفرد برأيه، شجاعاً، مقداماً، شديد الحذر، سخيّاً، لسناً، شاعراً. وُلِدَ في دمشق سنة ١١٣هـ/٧٣١م، وكان وصوله للأندلس هروباً من مذابح العباسيين بعد قيام دولتهم سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، وتُوفي في قرطبة سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، ودُفِنَ بقصره فيها. = الزِّرِكْلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ٣٣٨/٣.

[١١] تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٢٤/٦.

٨٠٨هـ/١٤٠٥م) -في إحدى آرائه- يرى بأنه يُنْسَبُ إلى المغيرة بن عبد الرحمن من بني أُميّة. ولكنه لم يحدد أي من المغيرتين؛ المغيرة بن عبد الرحمن الداخل كما ذكر المَقّري، أو المغيرة[١] ابن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م). وقد زاد ابن عذاري (عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، في هذا اللبس حين ذكر فقط، بأنه يَدّعي أنه من بني أُميّة من وَلَد المغيرة[٢]، وبالتالي فهو زاد علينا في الاشتباه إلى جانب المغيرتين السابقين، أيضاً المغيرة بن الوليد[٣] ابن أخي عبد الرحمن الداخل.

كما أَرْجَعَ المُسَبِّحِي[٤] (ت: سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، نسبه إلى عبد الرحمن الداخل، وإن كان من ابنه عبد الملك وليس المغيرة. ونفس نسبته هذه إلى عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل، قد ذكرها كل من النويري[٥] (ت: سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، وابن خلدون، وإن كان قد شَكّكَا في نسبه إلى الأمويين بقول الأول بأنه ادّعى ذلك، في حين ذكر الثاني بأنه يزعم ذلك[٦]. أما ابن الجوزي (ت: سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وابن العماد[٧] (ت: سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، فذكرا بأنه أُمَوي من ولد هشام بن عبد الملك[٨]، ولكنهما لم يذكرا صراحةً هل هو ابن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)، أم عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل الأمير الأموي بالأندلس.

وقد حَذَا المقريزي (ت: سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، حَذْوَ أُستاذه ابن خلدون في أمر التشكيك في نَسَبِهِ إلى بني أمية بقوله: "ويُقال إنه ولد رجل من موالي بني أمية"[٩]. وقد تبنى ريبة ابن خلدون والمقريزي في

---

[١] هو المغيرة بن عبد الرحمن الناصر، أخي الخليفة الحكم المستنصر. وُصِفَ بأنه: "فتى القومِ كَرَماً ورُجْلَة". كانت الأنظار معلقة به في الملك بعد وفاة أخيه المستنصر، ولكن وزير أخيه أبو عثمان المُصْحَفي، وخادماه الخاصان فائق وجوذر، ومعهم محمد بن أبي عامر، قد دبّروا مقتله ليؤول أمر الحكم إلى هشام ابن أخيه المستنصر، وذلك على الرغم من مبادرته بمبايعة ابن أخيه الصغير ولكن ذلك لم يَشفع له عندهم، فقتلوه خنقاً في مجلسه أمام أهله وعلّقوا جسده بطريقة تدل على أنه انتحر من تلقاء نفسه، ثم أشاعوا بأنه خنق نفسه. وكان مقتله يوم وفاة أخيه المستنصر، يوم الأحد الثالث من صفر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وكان عمره آنذاك سبعٌ وعشرون سنة. = ابن بَسّام الشنتريني، أبو الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، ط١، ١٩٧٩م، ق١، مج١، ص٢٥٧-٢٥٩.كذلك ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٣م، ٢/٢٦٠-٢٦٢.

[٢] البيان المغرب، مصدر سابق، ٢٥٧/١.

[٣] هو المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام، أمير من بني أُميّة بالأندلس. نَقَمَ على عمّه عبد الرحمن الداخل أُموراً فنادى بخلعه، فقبض عليه عبد الرحمن وقتله سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م. = خير الدين الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ٢٧٨/٧.

[٤] نقلاً عن المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٠/٢.

[٥] النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م، ١١٣/٢٨.

[٦] تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٣/٤.

[٧] ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي: شَذَرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٩م، ٥٠٩/٤.

[٨] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، ٥٠/١٥.

[٩] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٦/٢.

نسب أبي ركوة إلى الأمويين من الْكُتّاب المحدثين محمد عبد الله عنان (ت: سنة ١٩٨٦م)، الذي يرى بأن قصة أبي ركوة هي قصة كل الدعاة الطامحين إلى مُلك أو إمامة، فهم يجتهدون للانتماء إلى أصلٍ مَلَكي أو زعامة دينية لكسب قاعدة شعبية عريضة تُمَكّنهم من الوصول إلى طموحهم، وقد سلك أبي ركوة طريق الفريق الأول فَنَسَبَ نفسه إلى بني أُمية بالأندلس[١].

ومن وجهة نظرنا إنه لا يمكن التحقق أو التيقن من صحة نسب أبي ركوة إلى بني أمية، فهو يضاف إلى قائمة القضايا التاريخية التي لا يزال الجدل قائماً عليها في الطعن بالأنساب، وهذا الطعن الذي لايزال مستمراً ويُستعمل إلى وقتنا الحاضر، والذي يتبناه عادة الأشخاص المعارضين أو المخالفين للمطعون في نسبهم. ومن أشهر هذه القضايا صحة النسب الفاطمي المطعون فيه، والذي اختلف فيه المؤرخون القدامى والباحثون المحدثون وحَبّروا فيه مئات الأوراق والصفحات، دون أن يصلوا إلى إثبات واضح يُعْتَدّ به ويُتّفق عليه. وذلك لما هو معروف عن الأحداث التاريخية التي يتناقلها المؤرخين - غير المعاصرين للحدث- عن بعضهم البعض فتتعرض للتصحيف والتحريف، بالإضافة إلى نزعات المؤرخين أنفسهم عند الكتابة فكلٌّ يكتب على حسب ميوله وقناعاته ومعتقداته، وهذا ما نلاحظه في مسألة صِحّة نسب أبي ركوة للأمويين، فالطاعنون فيه من أمثال ابن خلدون والمقريزي هم أنفسهم المؤيدون لصحة نسب الفاطميين، وبالتالي سيكون هناك نوع من التعاطف معهم عند سرد تاريخهم، مقارنةً لما ذكروه عن أعدائهم، وقيس على ذلك للمخالفين لهم من المؤرخين.

ومهما يكن من الأمر فإن قضية نسب أبي ركوة لا تمثل لنا عظيم أهمية على حسب وجهة نظري، والأهم في رأيي هو التركيز على ما صنعه هذا الثائر من مجريات الأحداث في برقة والنتائج التي ترتبت عليها. وعلى حسب المادة التاريخية الْمُستقاة من المصادر فإن أبي ركوة الوليد بن هشام كان قريب النسب للخليفة الأموي بالأندلس هشام المؤيد بالله[٢] (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، وهو قد وُلِدَ بالأندلس[٣]، وعاش فيها إلى أن استفرد المنصور بن أبي عامر[٤] بالحكم في الأندلس بعد أن حَجَرَ على الخليفة هشام، وأخذ في تتبع من يصلح من أهله للحكم فطلبهم، فقتل البعض، في حين هرب البعض الآخر، وكان من بين الهاربين أبي ركوة نفسه، وكان عمره حينذاك قد زاد على العشرين سنة، فقصد

---

[١] عِنَان، محمد عبد الله: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة-الرياض، مكتبة الخانجي-دار الرفاعي، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٨٧.

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٣] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٠/٢.

[٤] هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن أبي عامر بن الوليد المعافري القحطاني، وُلِدَ سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م، وهو أحد الشجعان الدّهاة، وصل لمنصب الحجابة للخليفة هشام المؤيد عن طريق أُمّه السيدة صبح، حيث كان متولياً لأموالها وضياعها. وعندما تُوفي الخليفة المستنصر والد المؤيد ضَمَنَ ابن أبي عامر للسيدة صبح سكون البلاد واستقرار الملك لابنها. فكانت الدعوة على المنابر في أيّامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس)، والْمُلك له. فدامت له الإمرة لستّ وعشرين سنة، كان المؤيد معه صورة بلا معنى. وقد اشتهر ابن أبي عامر بغزوه لبلاد الفرنجة، حتى وصلت غزواته لها ستّ وخمسون غزوة لم ينهزم له فيها جيش. وقد تُوفّي في إحدى غزواته سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م، بمدينة سالم، ولا يزال قبره معروفاً فيها. = خير الدين الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ٢٢٦/٦.

مصر وفيها كتب الحديث[١]، ومنها سار إلى مكة واليمن والشام وكان يدعو خلالها للقائم من ولد أبيه هشام، ولم يلبث أن عاد ونزل في نواحي مصر على بني قُرّة من بادية هلال بن عامر، وكانوا يقطنون أعمال برقة[٢]، وهناك اشتغل بالتعليم[٣]، حيث افتتح مكتباً يُعَلّم الصبيان الخطّ[٤]، ويُلقّنهم القرآن[٥]، وقد تظاهر بالنّسك والعبادة، وكان يَؤُمّهم في صلاتهم، ولما استراحوا إليه عَرّفهم بنفسه، وشرع في دعوتهم إلى ما يريده، فأجابوه وبايعوه والتفوا عليه[٦].

التحشيد للثورة والانطلاق:

وجد أبي ركوة في أوساط بني قُرّة فرصة سانحة لتحقيق مشروعه السياسي؛ وذلك لما كانوا يكنّونه من كراهية للخليفة الحاكم من جرّاء تنكيله بهم، فكانت نفوسهم مهيّأة لاستقبال أي دعوة على أن تكون ضد الفاطميين. وقد استغل أبي ركوة هذا فضحك عليهم، وزعم لهم أن عنده روايات وعلماً، وأنه سيملك ما مَلَكَهُ آباؤه[٧]، وأنه هو الذي سيملك مصر ويقتل الجبابرة فيها[٨]. كما زعم لهم أن مَسْلَمَة بن عبد الملك[٩] كان قد بَشّرّ بخلافته بما كان عنده من علم الْحَدَثَان[١٠]، الذي أخذه عن خالد بن يزيد بن معاوية[١١]، وأخرج لهم أُرجوزة أسندها إلى مَسْلَمَة، ومنها في وصفه:

وابنُ هشامٍ قائمٌ في برقهْ به ينالُ عبدُ شمسٍ حَقّهْ

---

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٢] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٣/٤.

[٣] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، ٢٥٧/١.

[٤] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٥] المُقّري التلمساني: نفح الطيب، مصدر سابق، مج٦٥٨/٢.

[٦] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٢/٨.

[٧] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٠/٢.

[٨] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، ٢٥٧/١.

[٩] هو مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير قائد من أبطال عصره، من بني أُمية بدمشق، يُلقّب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة زمن خلافة أخيه سليمان (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م). ولّاه أخوه يزيد (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) إمرة العراقين ثم أرمينية. غزا السند والهند سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م. تُوفّي بالشام سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م. قال عنه الإمام الذهبي (ت: سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. وإليه يُنسب "بني مَسْلَمة" الذين كانت منازلهم في بلاد الأشمونين بمصر = خير الدين الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ٢٢٤/٧.

[١٠] الْحَدَثَان: كلمة معناها في الأصل صروف الدهر ونوائبه، وقد أصبحت تدلّ على معنى التنبؤ بالمستقبل، الذي يتنبأه الْعَرّاف أو الفلكي أو الكاهن الذي اخْتَصّته الآلهة بذلك فيخبر بقيام دولة في المستقبل، أو تولّي أسرة، وبقيام الحروب بين الأُمُم، ومُدّة حكم الأسرة وعدد ملوكها، وقد يجازف بعضهم فيذكر أسماء هؤلاء الملوك. = دوزي، رينهارت: تكملة الْمُعَاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م، ٩٥/٣.

[١١] هو أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأُموي. كان من أعلم أهل قريش في فنون العلم، وله كلامٌ في صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيراً بهذين العلمين مُتقناً لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته فيهما. يُقال إنه أخذ فنون هذه الصناعة عن رجل من الرهبان يُقال له: "مريانس الراهب الرومي". كما كان يجيد الشعر. توفي سنة ٨٥هـ/٧٠٤م = ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان فيما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته البيان، حقّقه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م، ٢٢٤/٢-٢٢٦.

يكونُ في بربرها قِيامُهْ و قُرّةُ العُرْب لها إكرامُهْ[١]

وبهكذا حِيَل انقاد بنو قُرّة لأبي ركوة والتفوا عليه وبايعوه وخاطبوه بالإمامة[٢]، وتَلقّب بـ"أمير المؤمنين الناصر لدين الله"[٣]، وقيل بأنه لَقّبَ نفسه "الثائر بأمر الله المنتصر لدين الله من أعداء الله"[٤]. وبعد أن ضَمِنَ أبي ركوة صَفّ بني قُرّة أرسل إلى قبائل لواتة ومزاتة وزناتة من البربر بدعوته فاستجابوا له[٥]. وكانت بين بني قُرّة وزناتة حروب ودماء فاتفقوا على الصلح للمصلحة العامة ومنع أنفسهم من الخليفة الفاطمي[٦]. وبهذا الْتَفّت العرب والبربر في برقة على أبي ركوة، وأخذ البيعة عليهم جميعاً بموضع يُعرف بـ"عيون النظر" من جبل برقة[٧]، يوم السبت لسبعة عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م[٨]. ثم رحل الجمع إلى برقة، والناس يُباكرون في كل يوم على أبي ركوة، فَيُسَلّمون عليه بالخلافة ويُقَبّلون له الأرض، فيجلس في وسطهم ويقول لهم: "أنا واحدٌ منكم وما أُريد شيئاً من هذه الدنيا، ولا أطلبها إلّا لكم، وليس معي مالٌ أَعْطِيكُم، وإنما لي عليكم طاعة، وإن نصرتموني نصرتم أنفسكم، وإن قاتلتم معي أخذتم حَقّكم بأيديكم"، فيردون عليه بقولهم: "يا أمير المؤمنين نحن مبايعون لأمرك مطيعون لك، فَمُرْنَا بأمرك"[٩].

ولم يزل أبي ركوة بمن معه من أنصار يطوف قُرى إقليم برقة ويأخذ البيعة لنفسه إلى أن عَظُمَ أمره فيما بين الإسكندرية وبرقة[١٠]، وعند ذلك عمل على تدشين سلطانه بالإطاحة بحكومة الفاطميين في برقة، فزحف بجموعه على برقة المدينة للاستيلاء عليها، وكان قد وعد أنصاره بالغنائم لِيُرَغّبَهم في القتال، حيث استقرّ بينهم أن يكون الثّلث من الغنائم له والثّلثان الآخران لبني قُرّة وزناتة[١١]. ولكنه لما قارب المدينة لَقَى مقاومة شديدة من أهلها مع الحامية الفاطمية الموجودة بها بقيادة واليها صندل

---

[١] الْمُقَري التلمساني: نفح الطيب، مصدر سابق، مج٢/٦٥٨-٢٥٩.

[٢] ابن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، ١٥/٥٤. كذلك ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٨/٤٢-٤٣.

[٣] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢/٦٠.

[٤] ابن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، ١٥/٥٤. في حين ذكر النويري بأنه تَلقّب بـ "الثائر بأمر الله والمنتقم من أعداء الله" = نهاية الأرب، مصدر سابق، ٢٨/١١٣.

[٥] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢/٦٠.

[٦] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٨/٤٢.

[٧] لم نعثر على موضع بهذا الاسم في الجبل الأخضر ببرقة، وإن كان من الممكن أن يكون المقصود هو منطقة "عيون مارة" التي تقع غربي مدينة درنة بنحو ٢٥كم، وهي من أهم عيون الجبل، وتتكون من عين الشايب، وعين المغارة، وعين الصفا، وإن كان أقواها في ضخ المياه عين الشايب. = الزاوي، الطاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط١، ١٩٦٨م، ص٢٣٧.

[٨] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٥٩-٢٦٠. وعند الْمُقّري كان قيام ثورته سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م= نفح الطيب، مصدر سابق، ٢/٦٥٩.

[٩] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢/٦٠-٦١.

[١٠] المصدر نفسه، ٢/٦١.

[١١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٨/٤٣.

الأسود[١]، وكانوا قد حَصّنوا المدينة بترميم الأسوار وغلق الأبواب وحفر الخنادق. وبعد مُنَاجَزات حربية عدة عمل أبي ركوة خلالها عل تخويف الأهالي وترغيبهم في الدخول في طاعته، فأبوا عليه وناصبوه العداء، فاشتدّ في قتالهم، وضَيّقَ عليهم بأن أغلق الطرقات الْمُوَصّلة للمدينة، وحظر أن يدخل شيء من الأقوات إليها، بالإضافة إلى قصفها بالْعَرّادَاتِ[٢]، فاشتدّ الأمر على الأهالي، وضاق الحال عليهم، وفرغ ما كان عندهم من القوت. وأقام أبي ركوة محاصراً لمدينة برقة على هذه الحال لحوالي خمسة أشهر إلا عشرة أيام، استطاع خلالها هزيمة نجدة وفدت على المدينة لنصرة أهلها من عسكر اللواتيين بقيادة شخص اسمه ابن طيبون، حيث هزم عسكرهم وقتل الكثير من جندهم، بمن فيهم القائد ابن طيبون نفسه، وهرب من بقي على قيد الحياة منهم[٣].

وفي أثناء حصار أبي ركوة لبرقة كان الخليفة الحاكم قد جَرّد لقتاله عسكراً من مصر بقيادة غُلامٍ تركيّ يُدعى ينال الطويل[٤]، الذي سار بجيشه إلى أن قَرُبَ من أعمال برقة، عندئذٍ خرج أبي ركوة للقائه بجميع من تبعه من العرب والبربر، وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل، والتقوا في الموضع المعروف بـ"عيون النظر"، من عمل برقة، وهو المكان نفسه الذي بايع فيه العرب والبربر أبي ركوة منذ شهور. وهناك اصطدم العسكران وتحاربا لمدة ثلاثة أيام متوالية، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، إلى أن دارت الدائرة على ينال، فَقُتِلَ أكثر من في عسكره من الجند، وأُخِذَ هو نفسه أسيراً ثم قُتِلَ، ويبدو أن كراهية بني قُرّة للفاطميين كانت شديدة حتى أنهم تتبعوا بالموت من نجا من عسكر ينال، ولم يبقوا على أيّ أحدٍ ممّن ظفروا به حيّاً[٥].

ولَمّا علم سُكّان برقة من الرعيّة والعسكريّة بما حلّ بينال وجيشه من هزيمة، وهم كانوا يعقدون الأمل عليه لتخليصهم مما هم فيه من رعبٍ وضِيقِ الحال، فاجتمع خبر الهزيمة عليهم مع الضعف والحصار الذي كانوا يعيشونه في المدينة فلم يستطيعوا المقام فيها، فهرب الكثير منهم بما فيهم الوالي صندل عن طريق البحر، فتوجه بعضهم إلى مصر، وقصد بعضهم الآخر إقليم طرابلس الغرب. في حين

---

[١] يبدو أنه كان من العبيد السود الذين اصطنعهم الخلفاء الفاطميين لخدمتهم، ووصلوا إلى أعلى المراتب في الدولة الفاطمية، ولا سيما في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله الذي أكثر من شرائهم وعتقهم حتى كَثُرَت أعدادهم، ويبدو أن غرضه من ذلك كان لإيجاد عنصر جديد في الدولة لِيَجِدّ به من نفوذ العنصرين المتنافسين فيها وهما المشارقة والمغاربة = الأحمر، رمضان محمد رمضان: الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، القاهرة، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م، ص٦٢-٦٣.

[٢] الْعَرّادَاتُ: مفردها عَرّادةُ، وهي آلة تشبه المنجنيق، وإن كانت أصغر منه = الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ط٢، ١٩٩٤م، ٣٧١/٨.

[٣] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٠-٢٦١.

[٤] ورد اسمه عند ابن خلدون "أنيال الطويل" = (تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٣/٤). ويبدو أنه أحد الأتراك الذين اصطنعهم الخلفاء الفاطميين في خدمتهم وأدخلوهم في جيوشهم، فأصبحوا يمثلون طائفة لا بأس فيها في القاهرة لها نفوذها في الدولة، والذي ابتدأ في عصر الخليفة= =الحاكم وتحديداً بعد تولية أبو الفتوح برجوان في قصر الحاكم، واستمرّ نفوذهم مجتازين الطوائف الأخرى إلى أن تمكنوا من الهيمنة على الدولة زمن الخليفة المستنصر بالله = رمضان محمد رمضان الأحمر: الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص٤٧-٥٤.

[٥] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦١-٢٦٢.

دخل أبي ركوة المدينة يوم الأربعاء ثالث ذي الحجة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وأظهر فيها مذهبه السنة، وهو المذهب الأصلي لأهالي الإقليم[١]. كما جُدِّدَت له البيعة[٢]، وسُمّيَ بـ "أمير المؤمنين الناصر لدين الله"، وضُرِبَت السّكّة باسمه على ذلك، وأقام الدعوة لنفسه، ووضع يده على أرزاق أهل برقة وأموالهم - الذين لاقوا منه شدة عظيمة- وحازها لنفسه ولأنصاره[٣]، وفي يوم الجمعة رَكِبَ للصلاة، وصعد المنبر وخطب خطبة بليغة، لعن فيها الخليفة الحاكم وآباءه، ثم صَلّى بالناس وعاد إلى دار الإمارة التي بالمدينة وكان قد استولى على كل ما فيها[٤].

ويبدو أن باديس بن المنصور بن بُلكّين بن زيري والي أفريقية من قبل الفاطميين قد أعان الفاطميين في محاولتهم القضاء على حركة أبي ركوة، حيث يخبرنا المقّري بأن أبي ركوة قد هزم عسكر باديس صاحب إفريقية وعسكر الحاكم بمصر في آنٍ واحد[٥]. فليس من المستبعد أن يكون باديس قد وَجّه لمقاتلة أبي ركوة فيلقاً من الجيش الصنهاجي، ومن المحتمل أن يكون ذلك الفيلق قد تعاون بصورة تنقص أو تزيد مع الجيش الفاطمي[٦].

المسير صوب مصر والهزيمة:

ومهما يكن من الأمر فبعد استحواذ أبي ركوة على برقة، وصل واليها الفاطمي الهارب منها صندل الأسود إلى مصر، وهناك اجتمع بالحاكم، وأعلمه بقوة أبي ركوة واستفحال أمره، وحَثّه على إرسال الجيوش لمجابهته. أما أبي ركوة فقد اشتدت قوته بما استولى عليه من برقة من الأموال والعتاد، وقام بإقطاع بني قُرّة أعمال مصر مثل دمياط وتنيس والمحلة، وكتب لهم في ذلك، كما أقطع بيوت القواد والأكابر في الحكومة الفاطمية والتي تقع في الفسطاط والقاهرة[٧]، تيمناً منه وتفاؤلاً للاستيلاء على ملك الفاطميين فيهما. كما قد أخذ في إرسال البعوث والسرايا إلى الصَّعيد، وأرض مصر[٨].

أما الخليفة الحاكم إزاء هذا الخطر الداهم فقد أحسّ بخطورة الأوضاع، وعَمَدَ إلى تحسين سياسته مع رعيّته ورجال دولته، حيث يخبرنا ابن الأثير أن الحاكم لما وصله خبر سيطرة أبي ركوة على برقة "عَظُمَ عليه الأمر، وأهمته نفسه وملكه، وعاود الإحسان إلى الناس، والكفّ عن آذاهم"[٩]. وفي

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٦٢.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦١/٢.

[٣] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٢.

[٤] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٢١٦/٤.

[٥] المُقّري التلمساني: نفح الطيب، مصدر سابق، مج٦٥٩/٢.

[٦] إدريس، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م)، نقله إلى العربية حَمَّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ١٣٩/١.

[٧] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦١/٢.

[٨] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٣/٨. كذلك ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٤/٤.

[٩] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٣/٨.

الوقت نفسه ندب لقتال أبي ركوة القائد أبا الفتوح الفضل بن صالح[١]، وذلك في ربيع الأول من سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، وقام بدعمه بالعساكر، فحشدها الفضل في الإسكندرية، ولما اجتمعت كلها سار بها لملاقاة أبي ركوة، فكان الصدام بينهم في ذاتِ الْحُمَامِ على حدود برقة الشرقية، وهناك كانت بينهم حروب آلت في آخرها إلى هزيمة عساكر الفاطميين وغنم أبي ركوة ما كان عندها من أموال وسلاح، فَعَظُمَ شأنه بذلك[٢].

ويبدو أن الحاكم قد رأى بعد فشل استخدام القوة المباشرة مع أبي ركوة اللجوء إلى الحيلة، فأمر وجوه قواده ورجاله بمراسلة أبي ركوة وإعلامه بأنهم معه وفي صَفّه، وأنه إن زحف على مصر سينظمون إليه، وذلك لما يُعَانَوْنَه من الحاكم من إرهابٍ وقتلٍ في وجوهم وأكابرهم، حتّى أصبحوا لا يأمنون على أنفسهم لا ليلاً ولا نهاراً. فنفّد القُوّاد تلك الخطة وأرسل كل منهم رسول إلى أبي ركوة محملاً بكتابٍ يتضمن ذلك[٣]. ويبدو أن الحاكم كان غرضه من تلك الحيلة أن يُعَجّل من خروج أبي ركوة من أرض برقة وأعمالها، وهي التي اختبرها جيداً في المعارك السابقة وأثبت درايته ودربته في الكرّ والفرّ فيها، ليكون عاجزاً في غيرها.

ولما تواترت الكتب على أبي ركوة للقدوم إلى مصر، وثق بها ولم يدخله الشك في كيد أصحابها، لذلك حشد جموعه وأصحابه ووعدهم بأموال مصر ونعمها، وزحف بهم على مصر[٤]. وفي أثناء ذلك كان الخليفة الحاكم يعد العدة للقائه، فجمع جيشاً كبيراً جعل فيه كل مُجندّين الدولة من المشارقة والمغاربة، كما كتب إلى الشام يستدعي العساكر، فجاءته، ففرّق الأموال والدواب والسلاح عليها،

---

[١] هو القائد أبو الفتوح الفضل بن عبد الله بن صالح، المعروف بـ"الوزيري". كان من الأمراء الذين يسيرون في ركاب الخليفة العزيز بالله إذا خرج في المواكب. ولّاه العزيز بلاد الشام سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، ومكث فيها لعدة سنوات. وفي أواخر عهد العزيز تولّى المحاسبة في وجوه الأموال. وبعد وفاة العزيز انتقل لخدمة ابنه الحاكم ووصل إلى مراتب رفيعة في دولته، وقد أعطاه الحاكم الأموال والإقطاعات ولكن لم يلبث أن قتله بعد ذلك شر قتله. وقد قال فيه شاعر الحاكم أبو القاسم عبد الغفّار قصيدة منها هذه الأبيات:

إنّما الفضل غُرّة في وجوه المدائح
أَرْيَحِيُّ رياحه عبقاتُ الروائح
كعبة الجود كَفّه بين غادٍ ورائحٍ
إنّما تصلح الأمو ر برأي ابن صالح

= الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحَة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م ٥٢٤/١. كذلك ابن ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان: الإشارة إلى من نال الوزارة "نُشِرَ معه في الكتاب نفسه وللمؤلف نفسه كتاب القانون في ديوان الرسائل"، حقّقها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سَيّد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م، ص٥٥. المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ١٤٦/١، ١٤٩. حسن، حسن إبراهيم: الفاطميّون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٢م، ص١٥٨-١٥٩.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦١/٢-٦٢.

[٣] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٢/٢. في حين ذكر ابن الأثير وابن خلدون أن الناس في مصر ومعهم بعض القادة أرسلوا إلى أبي ركوة يستدعونه للتخلص من الخليفة الحاكم، وكان من القادة الذين راسلوه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد= الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٣/٨-٤٤.كذلك تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٤/٤.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٢/٢.

وسيّرها[١]، وأبقى على قيادة الجيوش وسياقتها فضل بن صالح. فكان لقاء طوالع العَسْكَرَيْن الْمُتَحَارِبَيْنِ في موضع يُعرف بـ "تروجة"، من أعمال الإسكندرية، ونَشَبَ القتال بينهم، ونفذت جيوش أبي ركوة إلى الْفَيُّوم وملكوها، وخَرّبوا قُرَاها وضياعها ونهبوهما. فاضطرب أهل مصر لذلك وخافوا خوفاً شديداً. فأرسل الحاكم جيشاً إلى الجيزة بقيادة عليّ بن فلاح[٢]، لحفظها وضبطها، فلما علم أبي ركوة بذلك سيّر سرية من جنده العرب إلى الجيزة، وهناك كبسوا على ابن فلاح في عسكره، في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، وانتشبت الحرب بينهم في الموضع المعروف بـ "أرض الخمسين"، فانهزم ابن فلاح وقُتِل خلقٌ كثير من جنده، وغرق آخرون في النيل[٣]، بالإضافة إلى عدد لا يُحصى من الجرحى[٤]. في حين استولى جند أبي ركوة على ما معهم من خزائن السلاح والعتاد، وانصرفوا في آخر ذلك النهار، وصاروا إلى الفيّوم، واجتمعت عساكرهم فيها متوّجة بنصرها[٥].

أما ابن فلاح فقد كَثُرَ البكاء والضجيج عنده على شاطئ النيل لكثرة القتلى في جنده، وكذلك المفقودين الذين لم يُعْلَمُ لهم خبر، حيث لم يَسْلَم من عسكره إلّا القليل. فأمر ابن فلاح بدفن الموتى في الجيزة ومنع حملهم إلى مصر[٦]، ويبدو أنه اتخذ ذلك الاجراء لكيلا يُصَاب الأهالي هناك بالهلع والفزع. ولكن ما أن وصلتهم أخبار الوقعة حتى ازداد اضطرابهم ووجلهم[٧]، وغُلّقَت الأسواق، وجلس الناس بالشوارع غَمّاً لما جرى على العسكر الفاطمي، وتزايد البكاء منهم على فقد آبائهم ومعارفهم[٨]، وتزايدت أسعار السلع، فَنُودِيَ فيهم من قبل السلطة الحاكمة: "أيّ أحدٍ زاد في السعر فقد أوجب على نفسه القتل"، فتراجعت الأسعار إلى حدّها الطبيعي[٩].

أما القائد فضل بن صالح فيخبرنا ابن الأثير، وابن خلدون، بأنه استخدم الحيلة والدهاء لمجابهة أبي ركوة، حيث أن خطة أبي ركوة كانت تقوم على المناجزة السريعة، في حين استخدم معه الفضل

---

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٤/٨.

[٢] هو أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح، عُرِفَ بعد ذلك بوزير الوزراء ذو الرئاستين الأمير المظفّر قطب الدولة. وهو من أوفى الكتاميين بيتاً وأجلّهم قدراً، وكان أبوه من الأجواد. وكان علي بن فلاح هذا من أجود الأمراء في الدولة الحاكمية، استعان به الحاكم في إقرار النظام في الشام، ثم قلّده الوساطة سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، ونعته بألقابه في رجب سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، وكتب له سجلا بذلك، فكان الناظر في جميع رجال الدولة، بالإضافة إليه ولاية الإسكندرية وتنّيس ودمياط والشرطتين العليا والسفلى والحسبة والسيارتين والعرض والإثبات والنظر في الواجبات. تُوفي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨، متأثراً بجراحه بعد إغتياله من قبل فارسين أصابه أحدهم برمح وهرب = ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، مصدر سابق، ص٦٢-٦٣. كذلك المناوي، محمد حمدي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص٢٤٩-٢٥٠.

[٣] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٥-٢٦٦.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٣/٢.

[٥] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦.

[٦] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٣/٢.

[٧] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦.

[٨] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٣/٢-٦٤.

[٩] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦.

البطء والمراوغة وعدم التصادم المباشر، ومن خلالها أخذ في مراسلة أصحابه لاستمالتهم بما يُقَدّمه لهم من رغائب، حتى نجحت خطته واستطاع استمالة قائد كبير من بني قُرّة وأحد أُمرائهم، يُسَمّى الماضي عند ابن الأثير[١]، وماضي بن مقرب عند ابن خلدون[٢]. فكان ماضي هذا يُطَالع الفضل بأخبار أبي ركوة وخططه وطبيعة تحركاته، والفضل يُرتّب خطته بحسب المعلومات الواردة عليه[٣]. فكان في ذلك أعظم الأثر في سير مجريات الحرب بينهم بعد ذلك لصالح الفضل، والتي انتهت بالصدام المباشر بين جيشيهما في معركة طاحنة، يوم الجمعة، الموافق الثالث من ذي الحجة من سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، بموضع من أرض الفيّوم يُعرف بـ "رأس البركة"، والتي انتهت بهزيمة أبي ركوة ومن معه من العرب، ومقتل أكثر البربر في جنده[٤]، وقد طلبت بعد قبائل العرب الذين كانوا معه الأمان من أمثال بنو كلاب وغيرهم، في حين سارت عساكر الفضل في ملاحقته[٥].

وقد استقبل أهالي مصر هذه الأخبار بالأهازيج، وقد أرسل إليهم الفضل من الفيّوم رؤوس القتلى من جندِ أبي ركوة ومعهم الأسرى، فكانت أكثر من ستة آلاف رأس ومائة أسير، فَطِيفَ بها وبهم في أنحاء البلد انتشاءً بالنصر. فَتَعَرّضَ الأسرى لأنواع كثيرة من التنكيل على يد العامة، فكانوا يصفعونهم في أقفيتهم، وينتفون لِحاهُم، ويضربونهم حتّى تَفتّحت أكتاف الكثيرين منهم، فكان عرضاً مُهوّلاً، انتهى في آخره بمقتلهم بالسيوف بلا رحمة. وكان الفضل كلما تقدم في تتبع أبي ركوة كلما أرسل المزيد من أسرى جنده، ورؤوس من قتل منهم، وتواتر ذلك حتى جِيءَ "بخلقٍ كثير وعِدّة رؤوس"[٦].

وفي أثناء ملاحقة الفضل لأبي ركوة أرسل لمن بَقِيَ معه من بني قُرّة يُرَغّبُهُم في تسليمه إليه مقابل أموالاً جزيلة ولكنهم رفضوا ذلك[٧]، وفي الوقت نفسه لم يحتفظوا به بينهم، لأنه مادام بين أظهرهم سيظلون محلّ مطالبة وملاحقة من قِبَل الفضل وجنده وهم في غِنَى عن ذلك، حيث لم يعد لديهم حيلٌ ولا قوة لمعاودة القتال. لذلك أخبروا أبي ركوة بأن ينجو بنفسه، وطلبوا منه اختيار أي بلد ليتعهّدوا بنقله إليها، فاختار النُّوبَة[٨]، لأنّ بينه وبين ملكها عهداً وذِمّة، فأوصلوه إليها[٩]. فلما عَلِمَ الفضل بأن بني قُرّة قد أنزلوا أبي ركوة في بلاد النُّوبَة أرسل إلى ملكها بالقبض عليه وسيّر إليه عسكراً مع

---

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٤/٨.

[٢] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٧٤/٤.

[٣] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٤٤/٨. كذلك عبّاس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٦٧م، ص١٢٣.

[٤] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦.

[٥] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٤/٢.

[٦] المصدر نفسه والصفحة.

[٧] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦.

[٨] النُّوبَةُ: بلادٌ واسعةٌ عريضةٌ في جنوبي مصر، مبتدأ بلادهم بعد مدينة أُسوان مباشرةً. عاصمتها مدينة دُمُقُلة. وهي بلاد إبل وأبقار، وبها الحنطة (القمح) والشعير والذرة والنخل والكروم والأراك والأترنج. وأهلها نصارى ذو شدة في العيش، يُجلب منهم الرقيق لِيُباع في مصر. = ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧، مج٣٠٩/٥.

[٩] ابن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، ٥٥/١٥.

الكتاب[١]، مختصر فحواه: "إن عدو أمير المؤمنين الحاكم في بلادك"[٢]. فلما وصل العسكر أطراف النوبة وجدوا أبا ركوة قد اختفى في دَيْرٍ هناك يُعرف بدير أبي شنودة[٣]، منذ أربعة عشر يوماً، فدلّهم عليه رجل من العرب[٤]، هو الشيخ أبو المكارم هبة الله، شيخ بني ربيعة، وكان ذلك في ربيع الآخر من سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[٥].

مصير أبي ركوة:

لم تصل أخبار الفضل إلى مصر، والتي تفيد بوقوع أبي ركوة في يده والقبض عليه إلا في الثاني من جُمادى الآخرة سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، فابتهج الناس لذلك الخبر، وخُلِعَ على القائد الفضل بن صالح، وعلى ابنه، وعلى الأعرابي الشيخ الذي دَلّهم عليه[٦]، وبعد القبض عليه سار به الفضل مُكرّماً إلى مصر، وسبب إكرامه له خوفاً عليه من أن يقتل نفسه، وهو يريد أن يأتي به إلى الخليفة الحاكم حيّاً. فأمر الحاكم بالتشهير به، بأن يُطاف على جملٍ في صورة ذليلة. وكانت القاهرة قد زُيّنت أحسن زينة بهذه المناسبة[٧]، وقد اجتمع الناس فيها من كل جهة لرؤية أبي ركوة مُشَهّراً، فكانوا جموعاً غفيرة لم يُرى مثلها كثرة، وقد استأجر الكثير منهم بيوتاً وحوانيت لهذا الغرض، بالإضافة إلى من بات منهم في الطرقات[٨]. ولمثل هذه العقوبات كان بالقاهرة شيخ يُقال له الأَبْزَاريّ، وظيفته إذا خرج خارجي، وقُبِضَ عليه، صَنَعَ له طُرْطُوراً[٩]، مُخَيّطاً بألوان متعددة من الخرق المصبوغة، ويأخذ قرداً ويجعل في يده دِرّة، ويُعلّمه أن يضرب بها الخارجي من ورائه، ويُعطى الأَبْزَاريّ على ذلك مائة دينار وعشر قطع قماش[١٠].

وعلى المهم، لما اجتاز الفضل ومعه أبي ركوة أسيراً منطقة الجيزة، في السابع عشر من جمادى الآخرة، أمر به الحاكم، فَأُركِبَ جملاً بِسَنَامَين، وأُلْبِسَ الطُّرطُور، في حين رَكَبَ الأَبْزَاريّ خلفه حاملاً القِرْدَ وبيده الدِّرّة يضربه بها، والعساكر من حوله، وبين يديه خمسة عشر فيلاً مُزَيَّنة. وقد دخل القاهرة على هذا الشكل ورؤوس أصحابه القتلى بين يديه على الخشب والقصب، وطوائف من الجند الفاطمي من الأتراك والديلم عليهم لباس الحرب، ويمتطون الخيول المجهّزة بآلة الحرب من اللباس

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٤/٢.

[٢] النويري: نهاية الأرب، مصدر سابق، ١١٥/٢٨.

[٣] المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٤/٢.

[٥] النويري: نهاية الأرب، مصدر سابق، ١١٥/٢٨.

[٦] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٤/٢.

[٧] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٢١٧/٤.

[٨] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٥/٢.

[٩] الطُّرْطُور: هو طاقِيّة للرأس، أو قُلنسوة عالية، أو برنس معطف رأسه منه وملتصق به. ولَمّا كانت هذه الطّاقِيّة العالية هي اللباس العادي لبدو مصر الذين يُسْخَرون منهم في المدن، فقد جرت العادة أن يوضع الطُّرْطُور على رؤوس المجرمين والأسرى، ويُطاف بهم في الطرقات تشهيراً بهم. = رينهارت دوزي: تكملة المَعَاجم العربية، مرجع سابق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م، ٤٠/٧.

[١٠] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٢١٧/٤.

المحمي وغيره، وفي أيديهم الرماح يحيطون به. وكان الخليفة الحاكم يجلس في منظرة على باب الذهب[١] للمشاهدة[٢]. فلما وصلوا به إلى القصر أُوقِفَ ساعة على بابه بإزاء جلوس الحاكم، وهو يُشير بإصبعه ويطلب العفو[٣]، والصفع مستمر في قفاه، ويُقال له قَبّل الأرض فَيُقَبّلها، ثم سِيرَ به إلى مسجد يُسَمّى تِبْر[٤]، وفي الطريق إليه بمجرد الخروج من باب القاهرة، فُتِحَ المجال للناس، فأخذوا يرجمونه بالحجر والآجر، ويصفعونه وينتفون لحيته حتى عاين الموت مراراً، إلى أن بلغ المسجد المذكور، فَضُرِبَتْ عنقه وصُلِبَ جسده، وحُمِلَ رأسه إلى الحاكم[٥]. وقيل إن الخليفة الحاكم أمر بأن يُخرج إلى ظاهر القاهرة، وأن تُضرب عنقه بإزاء مسجد ريدان[٦] الواقع خارجها، فلمّا حُمِلَ إلى هناك وأُنْزِلَ فإذا به مَيّت،

---

[١] المنظرة: جمعها مناظر، وهي أبنية يجلس فيها الخلفاء الفاطميون لمشاهدة بعض الاحتفالات والأعياد والمواكب، وكان بعضها مخصّصاً لجلوسهم عند توديع الحملات الحربية والأسطول. ولرفاهية بناء هذه المناظر، ولجمال الحقول والبساتين المحيطة بها، اتخذها الخلفاء الفاطميين أماكن لنزهتهم. وكانت هذه المناظر كثيرة العدد موزعة في أنحاء القاهرة والفسطاط والروضة والقرافة وبركة الحبش. ومن بين هذه المناظر تلك التي تعلو باب الذهب، وهو أحد أبواب القصر الفاطمي. وقيل إن المعز لما قَدِمَ من المغرب إلى مصر ومعه مائة جمل مُحمّلة بطواحين الذهب، عمل عضادتي هذا الباب من تلك الطواحين واحدة فوق الأخرى، فَسُمّي لذلك باب الذهب = للمزيد يُنظر المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط والآثار المعروف بالْخِطَط المقريزيّة، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٨م، ٢/٢١٥، ٢٩٠.

[٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٤/٢١٧.

[٣] قيل إن أبي ركوة لما قُبِضَ عليه، كَتَبَ إلى الخليفة الحاكم رقعة يقول فيها: "يا مولانا الذنوب عظيمة، وأعظم منها عفوك، والدماء حرام ما لم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت، وما ظلمت إلا نفسي وسوء عملي أوبقني"، كما كتب تلك الأبيات:

فررتُ ولم يُغْنِ الفرار، ومن يكن مع الله لم يعجزه في الأرضِ هاربُ
ووالله ما كان الفرارُ لحاجةٍ سوى فَزَعِي الموتَ الذي أنا شاربُ
وقد قادني جُرْمي إليك بِرمَّتي كما اجترَّ ميّتاً في رحى الحرب سالبُ
وأجمعَ كلُّ الناسِ أنّكَ قاتلي فيا رُبَّ ظَنٍّ زَيَّفُهُ فيه كاذبُ
وما هو إلّا الانتقام وينتهي وأخْذُك منه واجباً وهو واجبُ

= ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مصدر سابق، ص٦٥. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٨/٤٦. كذلك المُقّري التلمساني: نفح الطيب، مصدر سابق، مج٢/٦٥٩.

[٤] يقع هذا المسجد خارج القاهرة الفاطمية. وسُمّي تِبْر نسبةً إلى أحد أُمراء مصر زمن الدولة الإخشيديّة. ولما غزا جوهر القائد مصر خرج إليه هذا الأمير بعسكره، ولكنه انهزم إلى مدينة تِنّيس، فقبض عليه وحُمِلَ إلى القاهرة وطيف به على فيلٍ، ثم قتل وحُشِيَ جلده تِبناً وصُلِبَ بعد ذلك. لذلك أخذت العامة في تسمية هدا المسجد، بـ"مسجد التُّبْنُ" = ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين: الروضة البهيّة الزاهرة في خِطط المُعِزّيّة القاهرة، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه أيمن فؤاد سَيّد، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٩٦م، ص٩٩.

[٥] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢/٦٥.

[٦] هذا المسجد أنشأه ريدان الصقلبي بجوار بستانه خارج باب الحسينية من القاهرة. وكان ريدان هذا أحد خدام الخليفة العزيز بالله، وحامل المظلة على رأسه، ثم اختصّ بعد ذلك بابنه الحاكم، إلى أن قتله الحاكم سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م. وقد زال هذا المسجد، ويوجد اليوم على جزء من أرضه زاوية الشيخ علي أبي خودة بشارع أبي خودة بالعباسية القبلية بقسم الوايلي. = ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٤/٢١٨، هامش (١). كذلك المقريزي: الخطط المقريزية، مصدر سابق، ٢/٦٩٠.

فَقُطِعَت رأسه وحُمِلَ بها إلى الحاكم، الذي أمر بِصِلْبِ جسده[١]، وفي قول آخر صُلِبَ جسده وأُحْرِقَ بالنار[٢]، وكان صَلْبُ جسده على باب زويلة أحد أبواب مدينة القاهرة[٣].

وكان يوم قتله يوماً مشهوداً مَهُولاً لكثرة اجتماع الناس فيه، والذين أقاموا ليلتين في الحوانيت والشوارع وعلى أبواب البيوت يُظهرون الفرح والسرور[٤]. كما أُرسلت الكتب والمراسلات من القاهرة إلى الولايات والأعمال التابعة للدولة الفاطمية تُفيد بالظفر على أبي ركوة، فوردت الوفود من الشام ومكة ومن نواحٍ مختلفة، متمثلة في شيوخ وقضاة وأمراء لتهنئة الحاكم بهذا النصر[٥]. وهذه الفرحة وإن دلّت على شيء فإنما تدلّ على ما كانت تمثله هذه الثورة من إزعاج وقلق بالنسبة للخليفة الحاكم ودولته.

الخاتمة والنتائج:

هكذا استطاع الفاطميون القضاء على أبي ركوة وثورته، وكان يوم مقتله لا يكاد يتجاوز الثلاثين سنة من عمره[٦]، "وكان من اليوم الذي بُويَعَ له فيه ببرقة إلى اليوم الذي قُتِلَ فيه سنتين"[٧]، قَضَى خلالها على الحكم الفاطمي في برقة، وزلزل أركان الدولة بمصر، وأركب الفزع في قلوب سكانها. كما أنه كَلّف الخزينة الفاطمية أموالاً باهظة لمجابهته، فالخليفة الحاكم لما استشعر خطر ثورته لم يلووا جهداً في القضاء عليها، ففتح خزائن الدولة للإنفاق على صَدّها، حيث نقل بعض المؤرخين أن وزن أكياس الأموال التي أُخرجت مع القائد فضل عند خروجه للقاء أبي ركوة كانت حوالي خمسة وعشرون قنطاراً، وقيل إن جملة ما أُنفق للقضاء عليه بلغ ألف ألف دينار[٨]، أي مليون دينار.

ويبدو أن السبب الرئيس لهزيمة أبي ركوة هو عدم خبرته وتسرعه وتهوّره في تحقيق ما يصبو إليه، وهو إقامة مُلك له في مصر، وهو ما لا يَتَأَتّى في سنتين، فمن المستحيل أن يُقيم في سنتين ما أقامه الفاطميّون بعد معاناة، وبعد محاولات جادّة خلال ستين سنة من الزمان، تخللتها الكثير من الدعاية والدعوة، والاستعدادات والتجهيزات المختلفة، والحملات العسكريّة المتكررة إلى أن تمكنوا من ذلك.

ولم يخبرنا معظم المؤرخون ماذا حلّ بقبيلة بني قُرّة في برقة بعد انهزامها عن نصرة أبي ركوة في ثورته، وما كان من تَصرّف الخليفة الحاكم معها من جَرّاءِ مساندتها له وطمعها في ملك مصر، وإن كان ابن خلدون على حسب اطّلاعنا الوحيد الذي ذكر شيئاً عن هذا، وإن اختلفت روايته بين خبرين متناقضين في موضعين مختلفين من تاريخه، فيقول في الأول: "ولَمّا بايعوا لأبي ركوة من بني أُميّة

---

[١] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مصدر سابق، ص٦٥-٦٦. كذلك ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ٢١٨/٤.

[٢] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٧.

[٣] الدَّوَادَاري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك: الدُّرّة المُضِيَّة في أخبار الدولة الفاطمية "وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدُّرَرُ وجَامِعُ الغُرَر"، تحقيق صلاح الدين المُنَجّد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٩٦١م، ص٢٧٦.

[٤] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٦٥/٢-٦٦.

[٥] المصدر نفسه، ٦٦/٢.

[٦] المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٧] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٦-٢٦٧.

[٨] النويري: نهاية الأرب، مصدر سابق، ١١٥/٢٨.

بالأندلس وقتله الحاكم، سَلّطَ عليهم العرب والجيوش فأفنوهم وانتقل جُلُّهم إلى المغرب الأقصى"[١]. في حين ذكر في الخبر الثاني: "وهُدِرَتْ لبتي قُرّة جنايتهم هذه وعفا عنهم"[٢].

ولعلّ ما حدث بالفعل هو ما رآه الدكتور إحسان عبّاس (ت: سنة ٢٠٠٣م)، من أنّ "الخبرين غير متناقضين وإنما يشيران إلى حادثتين مختلفتين، وأكبر الظّنّ أن الحاكم في هذه المرّة عفا عن بني قُرّة، غير أنهم حين قابلوا جميله بالنكران [بعد ذلك بعقود] سَلّطَ عليهم العرب والجيوش"[٣]. وإن موافقتنا على ما رآه الدكتور إحسان عبّاس في عَفْوِ الحاكم عن بني قُرّة نابع على ما لدينا من معلومات على أحوالهم بعد ثورة أبي ركوة. فعلى حسب رواية ابن خلدون الأولى فإن الحاكم أفناهم وهَجّر معظمهم من برقة إلى المغرب الأقصى، بعد أن سَلّط عليهم العرب والجيوش. ولكن ما حدث بعد ذلك يدلّ على أنهم لا يزالوا يُمثّلون -من بين سكان برقة- القوة الضاربة والمناهضة للخلافة الفاطمية، وذلك على الرغم من وجود وُلاة الخلافة الفاطمية عليها.

ومهما يكن من الأمر فإن برقة بعد ثورة أبي ركوة ظَلّت اسميّاً تابعة للفاطميين مباشرة في مصر، وفعليّاً كان يُهيمن عليها عرب بني قُرّة. ويبدو أنها أصبحت في تلك الفترة من المناطق التابعة للفاطميين وعليها وُلاتهم، ولكن هؤلاء الوُلاة لم يكن لهم حولٌ ولا قوة في حكمها وفي فرض سلطانهم على قبيلة بني قَرّة القوية، وفي الوقت نفسه الكارهة للفاطميين وخلافتهم.

أما فيما يخصّ إقليم برقة فقد كانت ثورة أبي ركوة وبالاً عليه، وقد خلّفت له آثاراً سلبية بارزة، فإلى جانب الدمار الذي خَلّفته على برقة المدينة، بسبب حصارها وقصفها بالْعَرّادات، ونهب مساكنها وإخافة أهلها إلى غير ذلك، فإنها نزعت من المنطقة قوة السلطة الحاكمة التي كانت موجودة فيها، والاستتباب الأمني الذي كان في ظِلّها، والذي سنلاحظ أنه سيظلّ مفقوداً طوال السنين القادمة ويستمر باكتساح قبائل بني سليم وهلال للإقليم سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م. هذا بالإضافة إلى التدهور الاقتصادي الذي أصاب الإقليم وهو نِتَاجٌ طبيعي للحروب ومُخلّفاتها، فبعد أن كان يشهد حركة اقتصادية زاهرة قُبَيل هذه الثورة، وتحديداً زمن ولاية أفلح الناشب[٤]، أصبح خلال سَنَتَيْ الثورة موبوءً مجدباً، غلت فيه الأسعار، وانعدمت فيه المؤن والأقوات، لدرجة أن فقد أهالي الإقليم الخبز اليومي[٥]، القوت الرئيس لهم.

---

[١] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ٣٧١/٢.

[٢] المصدر نفسه، ٢٤/٦.

[٣] إحسان عباس: تاريخ ليبيا، مرجع سابق، ص١٢٥.

[٤] شهدت برقة إبّان ولاية أفلح (٣٤٢- بعد سنة ٣٦٩هـ/٩٦٣- بعد سنة ٩٧٩م)، استتباباً سياسياً وازدهاراً اقتصادياً قلّ نظيره في تلك الحقبة ويعتبر هو الأبرز في زمن الفاطميين، فكانت عائداتها الاقتصادية من موارد الدخل المهمة للفاطميين في مصر، ففي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، أرسل أفلح هدية للخليفة العزيز بالله كان من ضمنها مائة صندوق ممتلئة بالأموال= (المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢٤٩/١). وفي السنة نفسها وردت على العزيز هدية أخرى من متولي برقة = = متضمنة "ستة عشر حملاً من المال"= (المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ٢٥٢/١). وإذا نظرنا إلى كمية الأموال التي أُرسلت في سنة واحدة من برقة يتضح لنا مقدار الرخاء والازدهار الاقتصادي التي كانت تعيشه وقت ذاك.

[٥] الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، مصدر سابق، ص٢٦٢، ٢٦٤.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: الحُلَّة السِّيَرَاء، حقّقه وعلّق حواشيه حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي وراجعه وصَحّحه محمد يوسق الدقّاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م.
- الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي"المعروف بِصِلَة تاريخ أوتيخا"، حقّقه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، طرابلس الشام، جرّوس برسّ، ١٩٩٠م.
- ابن بَسّام الشنتريني، أبو الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، ط١، ١٩٧٩م.
- ابن تَغْري بَرْدي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحَة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان فيما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته البيان، حقّقه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الدَّوَادَاري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك: الدُّرّة المُضِيَّة في أخبار الدولة الفاطمية "وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدُّرَرُ وجَامِعُ الغُرَر"، تحقيق صلاح الدين المُنَجّد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٩٦١م.
- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ط٢، ١٩٩٤م.

- ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان: الإشارة إلى من نال الوزارة "نُشِرَ معه في الكتاب نفسه وللمؤلف نفسه كتاب القانون في ديوان الرسائل"، حقّقها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سَيِّد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.
- ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين: الروضة البهيّة الزاهرة في خِطط الْمُعِزِّيّة القاهرة، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه أيمن فؤاد سَيّد، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان الْمُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٣م.
- ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي: شَذَرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٩م.
- ابن القَلاَنِسي، أبو يعلي حمزة: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق هـ. ف. آمدروز، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.
- الْمَقّري التلمساني، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حَقّقه إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.
- المقريزي، تقيّ الدين أحمد بن علي: اتّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا، تحقيق جمال الدين الشَّيَّال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٢، ١٩٩٦م.
- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط والآثار المعروف بالْخِطَط المقريزيّة، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن منظور، عبد الله بن محمد بن الْمُكرّم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الخزرجي: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧م.

ثانياً: المراجع:

- الأحمر، رمضان محمد رمضان: الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، القاهرة، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.
- إدريس، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م)، نقله إلى العربية حَمَّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

- حسن، حسن إبراهيم: الفاطميّون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٢م.
- دوزي، رينهارت: تكملة المَعَاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.
- الزاوي، الطاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط١، ١٩٦٨م.
- الزِّرِكْلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- عبّاس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٦٧م.
- عِنَان، محمد عبد الله: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة-الرياض، مكتبة الخانجي-دار الرفاعي، ط٣، ١٩٨٣م.
- كَحّالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٧م.
- المناوي، محمد حمدي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م.